

البنية العشرية وتمثّلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

البنية العشرية وتمثّلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح

خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م: مقاربة بنيوية دلالية

Decimal structure and representations of identity in Al-Busiri's "Burda"
(The Shining Stars in Praise of the Best of Creation) 608-696 AH / 1212-
1296 AD: A structural-semantic approach

مريم بنت عبده عبد الله حديدي، جامعة الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية

meemaa.95@gmail.com

تاريخ قبول المقال: 03-12-2025

تاريخ إرسال المقال: 10-10-2025

الملخص:

تقدّم هذه الدراسة قراءة بنيوية دلالية لقصيدة "البردة" للإمام البوصيري، بوصفها نصّاً صوفيّاً محورياً ينتظم في بنية مقطعية منتظمة ذات طابع رمزي. وتسعى إلى الكشف عن أنماط انتظام النص وتحولاته الداخلية، بوصفها تمثيلاً لحركة الذات الصوفية في علاقتها بالملق. وتأتي هذه القراءة مدفوعة بفكرة أن بنية القصيدة ليست تقسيماً شكلياً فحسب، بل نظام دلالي متكامل يستبطن رؤية صوفية للوجود واللغة. وقد اعتمدت الدراسة على منهج بنيوي مدعوم بتحليل إحصائي، مكّن من تتبّع التماثلات النصية وتحديد القيم المهيمنة، وصولاً إلى بلورة مفهوم مركزي هو الانعكاس الاتصالي، الذي تُعرّفه الدراسة بوصفه: العلاقة التبادلية بين الذات والآخر، التي يتم فيها إدراك الذات عبر انعكاسها في النص، وتحقّق حضورها من خلال انمائها في اللغة. وينطلق المفهوم من رؤية صوفية ترى أن الذات لا تُدرك إلا عبر حلولها في مرآة الوجود.

وقد بيّنت النتائج أن أنماط التماثل (المحوري، التراتبي، المقلوب، المضاد، المنعكس) تعمل مجتمعة على ترسيخ هذا الانعكاس الاتصالي بوصفه المبدأ المنظم لبنية القصيدة. وتظهر كل مقطع من المقاطع بوصفه تجلياً جزئياً لهذا الوعي المتحوّل، الذي يتكامل في النهاية ضمن دائرة بنيوية مغلقة ومنفتحة في آن، تتجلى فيها الذات وتقنى، وتتكتف فيها الرؤية الصوفية من خلال التماثل اللغوي والدوران البنيوي. وبذلك، لا تقف القصيدة عند حدود المدح أو التعبير العاطفي، بل تتحوّل إلى بنية تأويلية حافلة بالرمزية، تعبّر عن لحظة التقاء بين البنية والهوية، بين الشعر والتصوف، وبين اللغة والغياب.

الكلمات المفتاحية: الشعر الصوفي/ التحليل البنيوي/ الانعكاس الاتصالي/ التماثل النصي.

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

Abstract

This study presents a structural-semantic reading of *Al-Burdah* poem by Imam Al-Busiri, treating it as a central Sufi text organized in a symbolic and modular architecture. The research seeks to uncover the patterns of structural organization and internal transformation within the poem as a representation of the Sufi self's journey in its relation to the Absolute. The analysis proceeds from the premise that the poem's structure is not merely formal but encodes a coherent symbolic system that reflects a mystical vision of language and existence. The study employs a structuralist methodology supported by statistical analysis, enabling the identification of textual symmetries and dominant values. This leads to the formulation of a key conceptual framework: **reflective connectivity**, defined here as the reciprocal relationship between self and other, wherein the self is perceived through its reflection in the text and achieves presence by dissolving into language. The concept emerges from a Sufi worldview in which the self is only known through its immersion in the mirror of existence.

Findings indicate that the poem's various symmetry patterns—axial, sequential, inverted, antithetical, and reflective—collectively reinforce this reflective connectivity as the poem's central organizing principle. Each poetic section represents a partial manifestation of this shifting awareness, which ultimately coalesces into a closed-open structure where the self both appears and vanishes, embodying Sufi consciousness through linguistic mirroring and structural recurrence.

Thus, *Al-Burdah* transcends the bounds of praise or emotional expression to become an interpretive structure rich in symbolic resonance—a space where structure and identity converge, and where poetry, mysticism, and absence coalesce.

Keywords:

Sufi Poetry / Structural Analysis / Relational Reflection / Textual Symmetry

مقدمة:

يقوم النص الأدبي، في جوهره، على شبكة من العلاقات البنيوية التي تتقاطع وتتمايز على مستويات متعددة، صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، غير أن هذه المستويات لا تعمل في عزلة، بل تتأزر فيما بينها لتشكّل هوية النص وتكتفّ موقع المتكلم داخله، بما يتجاوز ظاهر العبارة إلى ما يكشف عن آليات تشكّل الذات والمعنى في بنية مغلقة. ويتصاعد تعقيد هذا البناء حين نتناول نصوصاً ذات طابع رمزي وتأويلي، مثل النص الشعري ذي البعد الصوفي، حيث تتحول اللغة إلى مجال لتوليد الدلالة عبر القول والطريقة التي يتشكل بها النص، والإيقاع الذي تنسج به علاقاتها الداخلية.

ومن هذا المنظور، تتقدم قصيدة "البردة" للإمام البوصيري كنص فائق المركزية، لا من جهة منزلتها في التراث الأدبي العربي فحسب، بل من حيث انتظامها الشكلي واشتغالها الرمزي الذي جعلها قابلة للقراءة عبر مستويات متعددة، أدبية وثقافية وشعائرية. فقد حافظت القصيدة على مكانتها بوصفها نصاً

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

أديباً مهيباً، وفي الوقت ذاته، نصاً دلاليًا مفتوحاً على تأويلات لا تحصرها الرؤية البلاغية وحدها، بل تتطلب قراءة تُمسك ببنيتها الكلية وبعلاقات مكوّناتها في امتدادها الشامل. وإذ اتجهت أغلب المقاربات السابقة نحو عناصرها الجمالية والتاريخية، فإن انتظامها في عشرة مقاطع متوالية ظلّ غالباً في حاشية التحليل، وكأنّته خاصية شكلية محضة لا تقتضي النظر إلا في ضوء الوزن والتغيم، مع أن هذا التنظيم يحتمل تأويلاً بنيوياً أكثر عمقاً، يتعلّق بكيفية توزيع المعنى، وتوجيه حركة الذات داخل النص، وانتظام الإيقاع الداخلي بما يعكس رؤية خفية للنظام والمعرفة والتجلي.

وينطلق هذا البحث من فرضية منهجية أن انتظام "البردة" في بنية عشرية ليس محض تنسيق أو ترف جمالي، بل هو مفتاح رمزي لتأويل القصيدة من داخلها، بما يُنتج بنية دلالية تقوم على قيم التماثل والانغلاق والدوران، وتقتض وجود مبدأ منظم يمكن تسميته بـ"الانعكاس الاتصالي"⁽¹⁾، حيث تشترك المقاطع وتتجاوب عبر صيغ ومعادلات صوتية ودلالية، تتيح للنص أن ينمو على ذاته ويعيد تأكيد هويته من خلال تكراره البنيوي. فكل مقطع لا يُقرأ في عزلة، بل داخل شبكة من التبادلات التي تعيد إنتاج صور الذات، وتربط بينها من موقع إلى آخر، في حراك لغوي لا ينفصل عن تصور معرفي للاتصال، يتجلى في انتظام اللغة كما في انتظام المعنى.

وتسعى هذه الدراسة إلى تفكيك هذا البناء المنتظم من الداخل، عبر مقاربة بنيوية دلالية، تقف على البنية النصية للمقاطع، وترصد العلاقات التي تنظمها أفقياً وعمودياً، دون أن تغفل عن الجانب الإحصائي الذي يُظهر دقة التوزيع اللغوي وتكرار وحداته، وهو ما يسمح بإبراز دور البنية العددية لا من جهة كونها تنظيم تقني إنما بصفاتها آلية تُنتج الانسجام وتعيد تشكيل المعنى وفق نسق يتجاوز الحضور السطحي للألفاظ إلى التوازن العميق بين عناصر النص. ومن هذا المدخل يصبح البناء العشري للبردة مجالاً مناسباً لاختبار حضور "الانعكاس الاتصالي" داخل القصيدة، ليس كفكرة تجريدية، بل كمنظم داخلي يمسك بالبنية ويكشف عن حركتها الذاتية في توليد الدلالة.

وبهذا تتفتح القصيدة على قراءة لا ترى فيها مجرد تجلٍ صوفي أو أثر بلاغي، بل بناءً شعرياً يشتغل على مستويين: انتظام لغوي صارم، وانفتاح دلالي يتكثف عبره وعي النص بذاته. وهنا لا يكون العمل مجرد تحليل لوحات القصيدة، بل مساءلة لبنيتها كلها، ولمدى قدرتها على التعبير عن تصور داخلي

(1) الانعكاس الاتصالي: مفهوم خرجت به هذه الدراسة التطبيقية للتمكن من تفسير المفارقة التي تجمع بين عدم وجود الذات ووجودها في الخطاب الصوفي. وسيأتي عرضه في موضعه من البحث ص23.

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

يتجلى في انتظامها، ويتكرس في صيغها البنيوية المتكررة، وفي تماثلاتها التي تحيل دائماً إلى مركز واحد هو اللغة بوصفها وعاءاً للمعنى، ومساراً لتشكّل الذات داخل النص.

المبحث الأول: البنية النصية وتشكّل الهوية الشعرية

المطلب الأول: المكانة النصية والتنظيم البنيوي

قَصِيدَةُ الْبُرْدَةِ لِلْبُوصِيرِيِّ مِنَ الْقَصَائِدِ الشَّهِيرَةِ فِي الْمَدِيحِ النَّبَوِيِّ، هَامَ بِيهَا أَهْلُ التَّصَوُّفِ؛ فَشَرَحُوهَا، وَشَطَّرُوهَا (1)، وَخَمَّسُوهَا (2)، وَسَبَّعُوهَا (3)، وَعَارَضُوهَا (4)، وَنَظَّمُوا عَلَنَهْجِهَا (5)، حَتَّى بَلَغَتْ شُرُوحُهَا وَالْكُتُبُ الَّتِي تَكَلَّمَتْ عَنْهَا الْعَشْرَاتُ، وَلَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ جَاءَتْ بِلُغَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ (6). وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُهُمْ لِأَبْيَاتِهَا بَرَكَةً خَاصَّةً، وَشَفَاءً مِنَ الْأَمْرَاضِ (7). وَتَعَدَّ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الْأَوْرَادِ الَّتِي تُقْرَأُ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ فِي هَيَبَةٍ وَخُشُوعٍ (8)، وَأَبْيَاتُهَا تُسْتَعْمَلُ إِلَى الْيَوْمِ فِي الرُّقَى، وَتُنْتَلَى عِنْدَ الدَّفْنِ، وَقَدْ وَضَعُوا لَهَا شُرُوطًا عِنْدَ قِرَاءَتِهَا، كَالْوَضُوءِ وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. (9)

(1) تَشْطِيرُ الشَّعْرِ: أَنْ يُصَيِّفَ إِلَى كُلِّ شَطْرٍ مِنْهُ شَطْرًا مِنْ عِنْدِهِ. (معجم اللغة العربية المعاصرة). (2/1199)

(2) الْمَخْمَسُ مِنَ الشَّعْرِ: مَا كَانَتْ أَنْصَافُ مُقَفَّاهَ مُخْتَلَفَةً تَجْمَعُهَا قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ بَعْدَ بَيْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَهُوَ مَا كَانَ عَلَى خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ. يَنْظُرُ:

(الصاحح) للجوهري (3/ 1134)، و(تاج العروس) للزبيدي. (16/ 28)

(3) الْمُسَبِّعُ مِنَ الْعُرُوضِ: مَا بُنِيَ عَلَى سَبْعَةِ أَجْزَاءٍ. (المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده. (1/ 506)

(4) الْمُعَارَضَةُ الشَّعْرِيَّةُ: هِيَ مُحَاكَاةُ قَصِيدَةٍ لِأُخْرَى مَوْضُوعًا وَوَزْنًا، وَهِيَ عِنْدَ الْبُلْغَاءِ عِبَارَةٌ عَنْ قَوْلِ شَيْءٍ مِثْلَ كَلَامِ الْغَيْرِ، سِوَاهُ كَانَ لَهُ وَزْنُ

الشَّعْرِ أَوْ الْقَافِيَةِ، أَوْ الرَّدِيفِ أَوْ الصَّنْعَةِ. (كتشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) للتهانوي. (2/ 1479)

(5) انظر: (المدائح النبوية) لمحمود علي مكي (ص: 119)، و(العمدة شرح البردة) للهيتمي (ص: 53).

(6) فَاقْ عُدَّ شُرُوحَ الْبُرْدَةِ كَثِيرًا مِنْ كُتُبِ السُّنَّةِ، كَصَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَالْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهَا! انظر: (المدائح النبوية) لمحمود علي مكي

(ص: 119)، و(العمدة شرح البردة) للهيتمي (ص: 53).

(7) انظر: (العمدة شرح البردة) (ص: 41)، قَالَ مُحَقِّقُهُ: (وَلَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَبَرَّكُونَ بِهَا فِي أَقْطَابِ الْأَرْضِ؛ فَكَمْ ظَهَرَ لَهَا مِنْ أَثَرٍ فِي إِبرَاءِ الْمَرْضَى

مِنَ الَّذِينَ اعْتَقَدُوا شَرْفَهَا، وَقَدَّرُوهَا قَدْرَهَا، فَكَانَتْ سَبَبًا فِي شِفَائِهِمْ، وَنِيلَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ فِي قِرَاءَتِهَا)!

(8) انظر: (المدائح النبوية في الأدب العربي) (ص: 142).

(9) انظر: (دائرة المعارف الإسلامية). (3/528)

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

وجاء في سبب تسميتها بالبُرْدَة: أَنَّ صاحبها ألقاها أَمَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَأَلْقَى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدَتَهُ كَمَا أَلْقَاهَا عَلَى كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقْظَةً، وَقِيلَ إِنَّ نَازِلَهَا الْبُوصَيْرِيَّ كَانَ مَرِيضًا بِالْفَالَجِ فَشَفِيَ بِهَا؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالْبُرْدَةِ (1)

أما نصها وهو محور هذه القراءة فيتشكّل في الفضاء النصي من عشرة مقاطع شعرية⁽²⁾، يمثّل كل مقطع بنية، وتقيم هذه البنية علاقة بناء نصّي بين مكوناتها، يجعل من تحديدها في سياق البنية الكبرى⁽³⁾ الكبرى⁽³⁾ للنصّ ضرورة قرائية؛ تُقِيم التوازن لهوية السرد المتشظية داخله. وفيما يلي بناء هيكلي لحدود النصّ ونقاط العلاقات التي ستنتقل من خلالها القراءة في محورها الأفقي، وقد اعتمد التحليل في هذا الجانب على التماثلات⁽⁴⁾ النصية وعلاقاتها التي تشكّل مسارات الحدث الشعري، والتي مثّلت في مجموعها ظاهرة بنائية؛ تحكم علاقات النصّ كبناء كلي من جهة، وظواهر جزئية تحكم العلاقات في المقاطع الشعرية باعتبارها بنيات جزئية من جهة أخرى.

المطلب الثاني: الوحدة النصية والتقسيم المقطعي⁽⁵⁾

1. الوحدة النصية :

المقطع الأول:		
1.	أَمِنْ تَذَكَّرَ جِيرَانِ بَذِي سَلَمٍ	مَزَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بِدَمٍ
2.	أُمُ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ	وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
3.	فَمَا لِعَيْنِكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفَا هَمَّتَا	وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفَقَ يَهُم
4.	أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ	مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ

(1) انظر (حاشية الباجوري على البردة) (ص: 4) وغيرها، وهذا ممّا أطبقت عليه كتبهم، لكن منهم من يقول: لَفَّهُ بِبُرْدَتِهِ، ومنهم من يقول: أَلْقَاهَا عَلَيْهِ .

(2) (تقسيم النص مقاطع هو من صنيع شراح البردة، والمعتمد كمحور في الإنشاد، وقد تم اعتماد هذا التقسيم بعد قراءة عميقة للنص ضمن علاقات تكوينه.

(3) يطلق علماء النصّ اصطلاحاً كلمة) البنية الكبرى (للنصّ على أكبر بناء، وأكثرها شمولاً. وهي تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنصّ. انظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، (الكويت: عالم المعرفة، 1990م) 237-241.

(7) ينظر التماثل: ينظر: يوري لوتمان، تحليل النصّ الشعري، ترجمة، محمد فتوح، د ط (مصر: دار المعارف 1995) 129.

(5) البوصيري، شرف الدين محمد، ديوان البوصيري، شرح وضبط وتقديم: عمر الطباع، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت)، قصيدة البردة.

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

5.	لَوْلَا الْهُوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ	وَلَا أُرَقَتْ لَذِكْرِ الْبَابِ وَالْعِلْمِ
6.	فَكَيْفَ تَنْكُرُ حُبّاً بَعْدَ مَا شَهِدْتَ	بِهِ عَلَيْكَ عَدُولَ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ
7.	وَأَثَبْتَ الْوَجْدَ خَطِيئَةً وَضَنَى	مِثْلُ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمِ
8.	نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى فَأَرْقِنِي	وَالْحُبُّ يَغْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ
9.	يَا لَأَيْمِي فِي الْهُوَى الْغُذْرِي مَغْدِرَةً	مَنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلَمِ
10.	عَذَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتَرٍ	عَنْ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمَنْحَسَمِ
11.	مَحْضَنَّتِي النَّصِيحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ	إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْغَدَالِ فِي صَمَمِ
12.	إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ	وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نَصِيحٍ عَنِ التَّهَمِ
المقطع الثاني:		
13.	فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ	مِنْ جَهْلَهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
14.	وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى	ضَيْفِ الْمَ بِرَأْسِي غَيْرِ مُحْتَشِمِ
15.	لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرَهُ	كُتِمْتُ سِرّاً بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكُتَمِ
16.	مِنْ لِي بِرَدِّ جَمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا	كَمَا يَرُدُّ جَمَاحُ الْخَيْلِ بِالْجَمِ
17.	فَلَا تَزُجُّ بِالْمَعَاصِي كَسَرَ شَهْوَتِهَا	إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهَمِ
18.	وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى	حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّمَهُ يَنْقَطِمِ
19.	فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُؤَلِّيَهُ	إِنَّ الْهُوَى مَا تَوَلَّى يُصِمُّ أَوْ يَصِمِ
20.	وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ	وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ
21.	كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةَ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً	مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدِرْ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
22.	وَأَخْشَى الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ	فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التَّخَمِ
23.	وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ	مِنْ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِّ جَمِيَّةَ النَّدَمِ
24.	وَخَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِمَا	وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصِيحَ فَاتِهِمِ
25.	وَلَا تُطِغْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلَا حَكْماً	فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ
26.	أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ	لَقَدْ نَسِبتُ بِهِ نَسْلاً لَذِي عَقَمِ
27.	أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا انْتَمَرْتُ بِهِ	وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَقَاوِلِي لَكَ اسْتَقَمِ
28.	وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً	وَلَمْ أَصَلِّ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أَصُمِ
المقطع الثالث:		
29.	ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى	أَنْ اسْتَنْكَتَ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمِ

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

30.	وَشَدَّ مِنْ سَعْبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى ورأودته الجبالُ الشُّمَّ من ذهبٍ	تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مَتَرَفَ الْأَدَمِ عن نفسه فأراها أيما شممٍ
31.	وَأَكَدَّتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مَنْ	إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعَصَمِ لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
32.	مُحَمَّدُ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالْثَّقَلَيْنِ نَبِيًّا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ	وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ أَبْرَ فِي قَوْلٍ «لَا» مِنْهُ وَلَا «نَعَمْ»
33.	هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ	لِكُلِّ هَوَلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمٍ مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مَنْفَصِمٍ
34.	فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ	وَلَمْ يَدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ
35.	وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ	مِنْ نَقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحَكَمِ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ
36.	مُنَّرَةٌ عَنْ شَرِيكِ فِي مُحَاسِنِهِ دَعَا مَا أَدْعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ	فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكَمِ
37.	وَأَنْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ فَإِنْ فَضَلَ رَسُولُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ	وَأَنْسَبَ إِلَى قَدَرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ حَدٌّ فَيُغْرِبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ
38.	لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عَظْمًا لَمْ يَمْتَحِنًا بِمَا تَغْيَا الْعُقُولُ بِهِ	أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ وَلَمْ نَهَمِ
39.	أَعْيَا الْوَرَى فَهُمْ مَعَانُهُ فَلَيْسَ يَرَى كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ	فِي الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ فِيهِ غَيْرِ مَنْفَحِمِ صَغِيرَةٍ وَتُكَلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ
40.	وَكَيْفَ يَذُرُّكَ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ	قَوْمٌ نِيَامٌ تَسْلَوْنَ عَنْهُ بِالْحُلُمِ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
41.	وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلَ الْكَرَامَ بِهَا فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا	فَإِنَّمَا اتَّصَلْتُ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ يُظْهِرُنْ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
42.	أَكْرَمَ بِخُلُقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرَفٍ	بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُنْسِمِ وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالْدَّهْرِ فِي هِمَمِ
43.	كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ	فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَسَمِ

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

57.	كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ	من معدني منطقي منه ومبتسم
58.	لا طيب يعدلُ ثريباً ضمَّ أعظمه	طوبى لمن تشق منه ومُلتئم
المقطع الرابع:		
59.	أبان مولده عن طيب عنصره	يا طيب مبتدأ منه ومُختَم
60.	يوم تفرس فيه الفرس أنهم	قد أذروا بحلول البؤس والنقم
61.	وبأت إيوان كسرى وهو منصدع	كشملي أصحاب كسرى غير ملتئم
62.	والنار خامدة الأنفاس من أسف	عليه والنهر ساهي العين من سدم
63.	وساء ساوة أن غاضت بحيرتها	وردَّ واردها بالغيط حين ظمى
64.	كأن بالنار ما بالماء من بلل	حزناً وبالماء ما بالنار من ضر
65.	والجن تهتف والأنوار ساطعة	والحق يظهر من معنى ومن كلم
66.	عموا وصموا فإعلان البشائر لم	تسمع وبارقة الإنذار لم تشم
67.	من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم	بأن دينهم المغوج لم يقم
68.	وبعد ما عاينوا في الأفق من شهيق	منقضة وفق ما في الأرض من صنم
69.	حتى غدا عن طريق الوحي منهنم	من الشياطين يقفو إثر منهنم
70.	كانهم هرباً أبطال أبرهة	أو عسكر بالحصن من راحتيه رمي
71.	نبتاً به بعد تسبيح ببطنهما	نبت المسبح من أحشاء ملتئم
المقطع الخامس:		
72.	جاءت لدعوتيه الأشجار ساجدة	تمشي إليه على ساق بلا قدم
73.	كأنما سطرط سطرًا لما كتبت	فروعها من بديع الخط في اللقم
74.	مثل الغمامة أنى سار سائرة	تقيه حر وطيس للهجير حمي
75.	أقسمت بالقمر المنشق إن له	من قلبه نسبة مبرورة القسم
76.	وما حوى الغار من خير ومن كرم	وكل طرف من الكفار عنه عمي
77.	فالصدق في الغار والصدق لم يرما	وهم يقولون ما بالغار من أرم
78.	ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على	خير البرية لم تنسج ولم تحم
79.	وقاية الله أغنت عن مضاعفة	من الدروع وعن عال من الأطم
80.	ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به	إلا استلمت الندى من خير مستلم
81.	ولا التمسست غنى الدارين من يده	الا التمسست الندى من خير مستلم

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

82.	لا تنكر الوحي من رؤياه إنَّ له	قلباً إذا نامت العينان لم يتم
83.	وذاك حين بلوغ من نبوته	فليس ينكر فيه حال محتلم
84.	تبارك الله ما وحي بمكتسب	ولا نبي على غيب بمتهم
85.	كم أبرأت وصبا باللمس راحته	وأطلقت أرباً من ربة اللمم
86.	وأحييت السنة الشهباء دعوته	حتى حكّت غرة في الأعصر الدهم
87.	بعارض جاد أو خلت البطاح بها	سبب من اليم أو سيل من العرم
المقطع لسادس:		
88.	دعني ووصفي آيات له ظهرت	ظهور نار القرى ليلاً على علم
89.	فالدر يزداً حسناً وهو منتظم	وليس ينقص قدراً غير منتظم
90.	فما تطاول آمال المديح إلى	ما فيه من كرم الأخلاق والشيم
91.	آيات حق من الرحمن محدثة	قديمة صفة الموصوف بالقدم
92.	لم تقترن بزمان وهي تخبرنا	عن المعاد وعن عاد وعن إرم
93.	دامت لدينا ففاقت كل معجزة	من النبیین إذ جاءت ولم تدّم
94.	محكمات فما تبقيين من شبه	لذي شقاق وما تبغين من حكم
95.	ما حوربت قط إلا عاد من حرب	أعدى الأعادي إليها ملقي السلم
96.	ردت بلاعتها دعوى معارضها	رد الغيور يد الجاني عن الحرم
97.	لها معان كموج البحر في مدد	وفوق جوهره في الحسن والقيم
98.	فما تعد ولا تحصي عجائبها	ولا تسام على الإكثار بالسأم
99.	قرت بها عين قاريها فقلت له	لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
100.	إن تتلها خيفة من حر نار لظى	أطفأت نار لظى من وردها الشيم
101.	كانها الحوض تبيض الوجه به	من الغصاة وقد جاعوه كالحمم
102.	وكالصراط وكالميزان معدلة	فالقسط من غيرها في الناس لم يقم
103.	لا تعجبين لحسود راح ينكرها	تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم
104.	قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد	وينكر الفم طعم الماء من سقم
المقطع السابع:		
105.	ياخير من يمم لعافون ساحتة	سغياً وفوق مئون الأئنيق الرسم
106.	ومن هو الآية الكبرى لمعتبر	ومن هو النعمة العظمى لمغتبر

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

107.	سريت من حرم ليلاً إلى حرم	كما سرى البدر في داج من الظلم
108.	وبت ترقى إلى أن نلت منزلة	من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
109.	وقدمتك جميع الأنبياء بها	والرسل تقديم مخدوم على خدم
110.	وأنت تخرق السبع الطباق بهم	في موكب كنت فيه صاحب العلم
111.	حتى إذا لم تدع شأواً لمستيق	من الدنو ولا مرقى لمستقم
112.	خففت كل مقام بالإضافة إذ	نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
113.	كيما تفوز بوصل أي مستتر	عن العيون وسر أي مكتتم
114.	فحزت كل فخار غير مشترك	وجزت كل مقام غير مزدحم
115.	وجل مقدار ما ولت من رتب	وعز إدراك ما أوليت من نعم
116.	بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا	من العناية ركناً غير منهدم
117.	لما دعا الله داعينا لطاعته	بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم
المقطع الثامن:		
118.	راعت قلوب العدا أنباء بعثته	كنبأة أجفلت غفلاً من الغم
119.	ما زال يلقاها في كل معترك	حتى حكوا بالقنا لحماً على وضم
120.	ودوا الفرار فكادوا يغطون به	أشلاء شالت مع العقبان والرحم
121.	تمضي الليالي ولا يدرون عدتها	ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم
122.	كأنما الدين صيف حل ساحتهم	بكل قرم إلى لحم العدا قرم
123.	يجر بحر خميس فوق ساحة	يرمي بموج من الأبطال ملنطم
124.	من كل منتدب لله محتسب	يسطو بمستأصل للكفر مضطلم
125.	حتى غدت ملّة الإسلام وهي بهم	من بعد غريبتها موصولة الرجم
126.	مكفولة أبداً منهم بخير أب	وخير بعلي فلم تيتم ولم تتم
127.	هم الجبال فسل عنهم مصادمهم	ماذا رأى منهم في كل مضطدم
128.	وسل خنيماً وسل بداراً وسل أهدأ	فصون حتف لهم أدهى من الوخم
129.	المصدري البيض حمراً بعد ما وردت	من العدا كل مسود من اللمم
130.	والكاتبين بسمر الخط ما تركت	أقلامهم حرف جسم غير منعجم
131.	شاكى السلاح لهم سيمي تميزهم	والورد يمتاز بالسيمي عن السلم
132.	تهدى إليك رياح النصر نشرهم	فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

133.	كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبَاً	مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزْمِ
134.	طَارَتْ قُلُوبُ الْعَدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فِرْقَاً	فَمَا تَفَرَّقُوا بَيْنَ الْبِهِمِ وَالْبُهِمِ
135.	وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نَصْرُهُ	إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجَمُّ
136.	وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ	بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ
137.	أَحَلَّ أَمَّتَهُ فِي حَرْزِ مَلَّتِهِ	كَالْلَيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجَمِ
138.	كَمْ جَدَلْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ	فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ
139.	كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةً	فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيَتَمِ
المقطع التاسع:		
140.	خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ	ذُنُوبَ عُمَرَ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخِدَمِ
141.	إِذَا قُلْدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ	كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٍ مِنَ النِّعَمِ
142.	أَطَعْتُ غَيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا	حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْإِثَامِ وَالنَّدَمِ
143.	فِيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا	لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ
144.	وَمَنْ يَبِيعُ أَجْلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ	يَبِينُ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ
145.	إِنْ آتَ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ	مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ
146.	فَإِنْ لِي ذِمَّةٌ مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي	مُحَمَّدًا وَهُوَ وَأَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمِّ
147.	إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَخِذًا بِيَدِي	فَضْلاً وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
148.	حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ	أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ
149.	وَمَنْذُ أَلَزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَانِحَهُ	وَجَدْتُهُ لِخِلَاصِي خَيْرَ مُلْتَرَمِ
150.	وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدَا تَرَبَّتْ	إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكَمِ
151.	وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ	يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرَمِ
المقطع العاشر:		
152.	يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ	سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ
153.	وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي	إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ
154.	فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا	وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ
155.	يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ	إِنَّ الْكِبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ
156.	لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا	تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعَصِيَانِ فِي الْقِسْمِ
157.	يَارَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ	لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

158.	والطفُ بعدك في الدارينَ إن له	صبراً متى تدعُ الأهوالُ ينهزم
159.	وانذُنْ لِسُحْبِ صلاةٍ منك دائمة	على النبيِّ بمنهلٍ ومنسجم
160.	ما رنحتُ عذباتِ البانِ ريحُ صبا	وأطربَ العيسَ حادي العيسِ بالنغم

2. التحليل الإحصائي للبنية العشرية ودينامية التوزيع النصي

قبل الدخول في المعطيات الرقمية لا بد من الوقوف على مفهوم "البناء العشري" الذي يُعدّ من أبرز الظواهر الشكلية التي تتّظّم بنية بردة البوصيري. فهذا الانتظام العددي، الذي يُقسّم النص إلى عشرة مقاطع كبرى، لا يحمل قيمة شكلية فقط، بل يمثل مفتاحاً لتأويل النسق الرمزي والتكراري للنص. وتقوم فرضية هذه الدراسة على أن هذا التقسيم العشري يتجاوز كونه إجراءً تنظيمياً إلى كونه بنية منتجة للمعنى، تسهم في تكوين الإيقاع البنيوي العام للنص وتفعيل ديناميكية التماثلات والتقابلات داخله.

- مفهوم البناء العشري في قصيدة البردة:

يُقصد بالبناء العشري في قصيدة البردة تقسيم النص إلى عشر وحدات مقطعية مرتّبة، تمثل كل منها بنية جزئية قائمة بذاتها من حيث التركيب والدلالة، لكنها تعمل في الوقت ذاته ضمن نظام شعري كلي منتظم.

ولا يُنظر إلى هذا البناء على أنه مجرد توزيع عددي أو تنظيمي خارجي، بل يُقرأ باعتباره إطاراً بنيوياً داخلياً ينظّم العلاقات النصية من خلال التماثلات والتقابلات التي تنتظم بين المقاطع، مما يمنح القصيدة تماسكاً شعرياً داخلياً يُسهم في إنتاج المعنى وإبراز تطوّر الهوية الشعرية داخل النص.

كما يحمل العدد "عشرة" في هذا السياق دلالة رمزية تتّصل بالبنية الصوفية للنص، بما تحمله من تصعيد تدريجي في تجربة الذات العاشقة من مقطع إلى آخر نحو لحظة الكشف والاتصال. وبذلك يمثل البناء العشري نسقاً تركيبياً ودلالياً تتجلّى عبره الحركة الشعرية الداخلية وتطوّرات الذات الصوفية في توازن بين الشكل والمضمون.

وبناء على ذلك، يأتي هذا القسم ليقدم قراءة إحصائية للبنية العشرية للقصيدة، تُبرز توزيع العناصر النصية وتواترها داخل المقاطع، وذلك وفقاً للآتي:

المقطع	عدد الأسطر الشعرية (الأبيات)	الأفعال الثلاثية	الأسماء الثلاثية	الجملة العشرية	الأسماء العشرية	العلاقة النصية
1.	12	9	12	3	-	التماثل المحوري

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

2.	16	10	30	3	-	التمائل التراتبي
3.	30	10	70	3	2	التمائل بالقلب
4.	13	10	26	2	1	التمائل المضاد
5.	16	16	38	6	-	التمائل المنعكس
6.	17	10	40	3	-	التمائل المنعكس
7.	13	10	13	3	-	التمائل المضاد
8.	22	22	64	3	-	التمائل بالقلب
9.	12	12	24	2	-	التمائل المحوري
10.	9	2	22	1	-	التمائل التراتبي
م	160	111	339	21	3	التمائل المنعكس

-آلية التحليل المقطعي :

ينطلق التحليل المقطعي في هذه الدراسة من اعتبار كل مقطع شعري في قصيدة البردة وحدةً بنيوية جزئية تعمل ضمن بنية كلية منتظمة. وتقوم هذه المقاربة على المنهج البنيوي الوصفي في تتبّع العلاقات النصيّة، مع توظيف الأدوات الإحصائية بوصفها آلية مكمّلة للكشف عن التكرارات البنيوية، وتحديد نماذج التماثل والاختلاف بين المقاطع.

ويتم التحليل وفق عدد من المؤشرات النصيّة الدقيقة، أهمّها: عدد الأسطر الشعرية في كل مقطع، وعدد الجمل أو الإسنادات وتراكيبها النحوية، وتوزّع الأسماء الثلاثية والأفعال الثلاثية، الوظائف النحوية الأساسية (الفاعل، المفعول، المبتدأ...)، السمات التكرارية داخل المقطع، وفي علاقته بالأجزاء الأخرى من القصيدة، ونوع التماثل النصي وفق ماخرجت به القراءة العميقة للنص: (محوري، تراتبي، منعكس، بالقلب، ومضاد).

ولا تُفهم هذه المؤشرات بوصفها بيانات كمية فقط، بل باعتبارها أدوات للكشف عن أنماط الانتظام البنيوي، وما ينتج عنها من دلالات رمزية تتصل بحركة الذات داخل النص.

البنية العشرية وتمثيلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

فعلى سبيل المثال، يمكن أن يشير ارتفاع التكرار في المقطع الأول إلى تمركز الذات حول خطابها الأولي، في حين يُظهر التماثل المنعكس في المقطع الرابع تحوُّلاً في موقع الذات ضمن علاقاتها الداخلية بالقول والمقام. أما المقاطع ذات البنية التراتبية فنُظِّهر نوعاً من التدرّج في حركة الوعي مما يجعل من بنية التوزيع الإحصائي مؤشراً على تطور خطاب الهوية في النص.

وقد تم توظيف جدول رقمي تجميعي يلخص نتائج التحليل الكمي لكل مقطع، ويبرز أوجه العلاقة بين المقاطع والبنية العشرية الكلية للقصيدة. ويُعتمد في قراءة هذا الجدول على المحور الأفقي للنص، أي التسلسل الخطي من المقطع الأول إلى العاشر، لفهم البنية التدريجية للحركة الشعرية. وتُقرأ هذه البنية في ضوء مفهوم "الانعكاس الاتصالي"، بوصفه أحد الأطر المنظمة لهوية الذات الشعرية ضمن النسق الصوفي للنص، بعيداً عن أي توظيف عقدي مباشر.

-التحليل الإحصائي للبنية العشرية ودينامية التوزيع النصي:

أفضى التحليل الكمي لمقاطع البردة إلى بنية عددية دقيقة تُظهر انتظام القصيدة وفق عشر مقاطع شعرية، يتفاوت طولها بين مقطع وآخر (من 9 إلى 30 بيتاً)، لكنها تخضع جميعاً لتوزيع منتظم للعناصر اللغوية (الأفعال الثلاثية، الأسماء الثلاثية، الجمل العشرية)، وتشير إلى أنماط تماثل مختلفة.

لكن ما يُميز هذه البنية ليس تفرق هذه الأنماط التماثلية، بل أنها -على تباينها- تصدر جميعاً عن نظام كلي منعكس، يُعيد إنتاج البنية النصية بوصفها سلسلة من الانعكاسات الداخلية، على نحو يتسق تماماً مع مفهوم الانعكاس الاتصالي.

فجد مثلاً: المقطع الأول (12 بيتاً، 9 أفعال، 12 اسماءً، 3 جمل عشرية) يتصف بالتماثل المحوري، أي أن الذات تتكثف فيه حول خطاب عاطفي دائري يضعها في مركز المعنى. هذا التماثل يُستعاد في المقطع التاسع (12 بيتاً أيضاً)، في دلالة على انعكاس البنية الأولى في التاسعة، بما يشبه الانغلاق الحلقي للحركة الشعرية.

بنما يبني المقطع الثاني من (16 بيتاً) تتسم بالتماثل التراتبي، شأنه في ذلك شأن المقطع العاشر، مما يشير إلى بنية تدرّجية تبدأ بالتحذير من النفس وتنتهي بالتوسل للخلاص، وتؤسس لحركة شعرية تتدرج من الداخل نحو الخارج ثم تعود في آخر القصيدة.

أما المقطع الثالث فيعد الأطول من حيث عدد الأبيات (30) بيتاً تظهر قيماً لغوية عالية (70 اسماءً ثلاثياً، 3 جمل عشرية، 2 اسم عشري)، ويتّصف المقطع بتماثل بالقلب، أي أن بنيته تعكس مقاطع أخرى

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

بترتيب مقلوب أو بنية عكسية، خاصة في علاقته بالمقطع الثامن (64 اسمًا ثلاثيًا)، مما يشير إلى دينامية التناوب بين قطبين في المعنى (المدح النبوي القائم على التجريد، ومقاطع الحث القائمة على التجسيد).

بينما يوصف المقطعان الرابع والسابع بالتماثل المضاد، فهما يتشابهان عدديًا (13 بيتًا في كل منهما، 10 أفعال ثلاثية)، مما يُظهر علاقة انعكاس قائمة على التضاد، كأن أحدهما يُعيد قول الآخر من جهة معاكسة؛ أي أن أحد القطبين يُظهر البعد الحسي، فيما يعيد الآخر تمثله تأويليًا، وهو ذاته ما يطرحه مفهوم "الانعكاس الاتصالي".

أما المقطعان الخامس والسادس فيحملان وحدهما صفة التماثل المنعكس صراحةً، كما أن كثافتهما التكرارية (الأسماء الثلاثية: 38 و 40، الجمل العشرية: 6 و 3) تمثل ذروة الحركة الداخلية للبنية، وتُعد مؤشرًا قويًا على تمركز الانعكاس في منتصف القصيدة، وكأن النص يُعيد تشكيل ذاته عند مركزه البنيوي، ثم يعكس هذا التمركز في النصف الثاني.

وعليه فإن انتظام هذه القيم الكمية ليس مجرد توزيع لغوي، بل دينامية دلالية تُعيد إنتاج الذات في مستويات متداخلة من الغياب والحضور، مما يجعل التماثل الكلي المنعكس صيغة تجسيد بنيوي لمفهوم الاتصال الصوفي، حيث تتكلم الذات بما ليس هي، وتُعاد هيكلتها داخل النص من خلال علاقات لغوية تتجاوز الخطية إلى الحلقية.

وهكذا يُظهر الجدول أن التوزيع العشري ليس شكلاً زخرفيًا، بل أداة تأويلية تُهيكل النص وفق إيقاع انفعالي ودلالي عميق يعكس تحول الذات عبر مستويات الخطاب، ويؤسس لقراءة تلامس الجوهر البنيوي للصوت الصوفي في الشعر العربي.

المبحث الثاني: البناء العشري والانعكاس الاتصالي⁽¹⁾

الانعكاس الاتصالي: مفهوم تولّد في هذه الدراسة بوصفه أداة تفسيرية تساعد على فهم المفارقة التي تجمع أنيًا بين عدم وجود الذات ووجودها في الخطاب الصوفي. وقد استعانت الدراسة في تأصيل هذا المفهوم برؤية الغزالي للعلم الكامن في القلب، وهو "مثل المرآة واللوح؛ لأن فيه صورة كل موجود، وإذا

⁽¹⁾ وجد هذا المفهوم لدى ابن عربي (560-638هـ) من خلال كتابه فصوص الحكم، وعند ابن تيمية والغزالي، وهو مفهوم يمكن من تفسير المفارقة التي تجمع أنيًا بين عدم وجود الذات ووجودها.

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

قابلت المرأة بمرآة أخرى حلت صور ما في إحداها في الأخرى⁽¹⁾ و" كذلك لكل معلوم حقيقة، ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب، وتتضح فيها، وكما أن المرأة غير، وصور الأشخاص غير وحقائق الأشياء غير، فهي ثلاثة أمور"⁽²⁾

وبناءً على ذلك، يوظف "الانعكاس الاتصالي" في هذا البحث لفهم دينامية حضور الذات الصوفية داخل النص، من خلال تمظهرها وتلاشيها المتكرر عبر بنى لغوية متقابلة، تتجلى فيها حركة الدوران بين الظاهر والباطن، والقول والمسكوت عنه، بصورة تجعل من البنية العشرية في القصيدة نسقاً يعكس هذا الاتصال الرمزي بين الذات ومركزها العلوي، في فعل لا نهائي من التجلي والانمحاء.

أما البناء النصي، فيقوم على مبدأ تقطيع الدلالة، أي توزيع المحتوى المعنوي على وحدات شعرية مستقلة ظاهراً، لكنها مترابطة بنيوياً ضمن نسق تداولي تصاعدي، يسمح بتوليد تدريجي للمعنى وفق آليات التكرار والانفصال. هذا البناء يهيئ انتقال الذات النصية إلى فضاء اتصالي متحوّل، يتلون بتقلبات الوعي الصوفي، ويتماهي مع سلطة اللغة لا بوصفها وسيلة تعبير، بل بوصفها وسيطاً لتحقيق الذات.

وتعتمد القصيدة في بنيتها الكلية على نظام عشري (عشرة مقاطع)، يمثل بنية منتظمة من التوزيع الشعري، ولا تُقرأ بوصفها ترتيباً شكلياً فحسب، بل باعتبارها إستراتيجية بنيوية قائمة على التكرار الانعكاسي لعناصر لغوية (أفعال، أسماء، جمل) تعيد تمثيل حضور الذات وتحولاتها، مما يكرّس فكرة الانعكاس الاتصالي، وهذا المفهوم الذي توظفه الدراسة إجرائياً يدل على تلك المفارقة التي تجمع في الخطاب الصوفي بين حضور الذات وغيابها (أنا)، بوصفها مرآة لما هو أعلى منها.

وفي هذا السياق، اختارت القراءة عينة تحليلية من المقطع الأول حتى الخامس، لأنها تمثل القوس التصاعدي الأول في حركة تشكيل الذات داخل النص، حيث تنتقل من حالات وجدانية (الحب، التوبة، الجهاد مع النفس) نحو استبطان المديح النبوي بوصفه صورةً علويةً لأننا المتجلية.

ويُراد من هذا التحليل استجلاء خطوط العلاقات النصية المكوّنة للبنية العشرية في مستويها الظاهري والباطني، كما يتجلى ذلك في القيم البنيوية المهيمنة⁽³⁾، أي تلك العناصر المتكررة بنيوياً (اسمية أو فعلية

(1) أبو حامد الغزالي، كيمياء السعادة، (نسخة مترجمة عن الأصل الفارسي) تحقيق: أبو سهل نجاح عوض صيام، (مصر: دار المقطم، 2010م)،

(2) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، 13/3

(3) تعرف القيمة المهيمنة بـ" بروز أحد الأنساق وتحكمه بالعناصر الأخرى بوصف (القيمة المهيمنة) عنصراً بؤرياً للأثر الأدبي"، جماعة من الباحثين، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلايين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1982م)، 81.

البنية العشرية وتمثيلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

أو تركيبية)، التي تمنح كل مقطع طابعه الخاص، وتربطه بالكل البنائي للنص. وهو ما سيظهر خلال تتبعنا لأنماط التماثلات التي خرجت بها القراءة الجدولية للنص¹:

المطلب الأول: التماثل المحوري :

التماثل المحوري في هذا البحث هو نمط من التوازن البنيوي يتم فيه توزيع العناصر النصية حول محور مركزي، غالبًا ما يكون مفردة أو بنية معنوية، تُستقطب حولها بقية العناصر في تكرار أو انعكاس متساوٍ على جانبيها. وهذا النوع من التماثل لا يقوم على التناظر الشكلي فقط، بل يتأسس على استقطاب الدلالة حول مركز ثابت، يمثل لحظة تركيز للذات أو انغلاق للبنية.

يُفتتح النص الشعري بمقطع يمثل مركز النظم البنيوي للقصيدة، حيث تتجلى فيه بوضوح العلاقة المحورية بين الذات الشاعرة ومجال الخطاب في سياق اتصال شعوري يتأسس على بنية دلالية متوازنة. ويظهر ذلك في التماثل الرقمي بين عدد الأسطر الشعرية (12 بيتًا) وعدد الأسماء الثلاثية (12 اسمًا)، وهو تماثل إحصائي يُفضي إلى نوع من الاتساق الداخلي يوحي بتوازن شعوري بين الذات وموضوعها. ورغم هذا الاتساق، فإن عدد الأفعال الثلاثية وعددها (9) أفعال، يكشف عن نقص في مستوى الحركة، ويمهد لانكسار جزئي في اكتمال التماثل، مما يُعيد إنتاج الذات بوصفها كيانًا يتوسل الاتصال ولا يملكه بعد. وتُعزّز قيمة الجمل العشرية وعددها (3) جمل لهذا البناء الثلاثي الدائري، كما تؤسس لانعكاس دلالي يُعيد تركيب المقطع ضمن نظام تماثلي محوري مغلق، يُهيئ بدوره لتموضع الذات في لحظة طلب لا تصل لدرجة الحلول.

ومن أبرز الأمثلة النصية التي تدعم هذا البناء:

"فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ * بِهِ عَلَيْكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ"

حيث نجد تجاوز الفاعلية الشعرية (الحب) مع علاماته الفيزيولوجية (الدمع، السقم)، لتشكل ثلاثية اسمية محورية.

كذلك في البيت: **مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم** حيث يتحقق تماثل فعلي-اسمي عبر أفعال مثل (مزجت، جرى) وأسماء مثل (دمع، مقلة، دم)، مما يُظهر هيمنة بنية شعورية تراكمية تتوسط بين الحضور الجسدي والانفعال الداخلي.

(1) يطلق على عملية استقراء النصوص الأدبية من بعديها الأفقي والرأسي بالقراءة الجدولية «Lecture, distributionnel, tabulaire» انظر: صلاح فضل، مرجع سابق، 203.

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

أما البيت: **إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْغَدَالِ فِي صَمَمٍ** فيجسد خطاباً دائرياً مكتفياً بذاته، يجعل الذات في موقع التماهي مع الحب أكثر من الدفاع عنه، وهو ما يعكس طبيعة التماثل المحوري بوصفه تماثلاً داخلياً يقوم، بل على استنساخ الذات داخل النص لا على التناظر مع الآخر.

وختاماً، يبرهن البيت: **إني اتهمتُ نصيحَ الشَّيْبِ في عَذْلِ * والشَّيْبُ أَبْعَدُ في نصحي عن التُّهَمِ** على بروز المفارقة الشعورية ضمن بناءٍ دائري، تُعاد فيه القيمة إلى نقطة البدء، بما يجعل البنية متوازنة لكنها غير مكتملة، ومفتوحة على رغبة الاتصال دون بلوغه، وهذا هو جوهر الانعكاس الاتصالي في هذا المقطع.

وبعد أن استعرضت القراءة آليات التماثل المحوري بوصفه نمطاً بنيوياً يعكس تركز الذات حول بؤرة اتصالية ثابتة، ينتقل التحليل إلى تتبع نمطٍ مغاير في بنية القصيدة، يقوم على التصاعد الداخلي للذات عبر تدرج في البنى والدلالات. وفي هذا السياق، يبرز **التماثل التراتبي** بوصفه أحد الموجهات البنيوية التي لا تتأسس على التنامي المتدرج في مستويات الوعي والاتصال.

المطلب الثاني: التماثل التراتبي

التماثل التراتبي يشير في هذا البحث إلى علاقة بنيوية بين العناصر تتأسس على التسلسل أو التصاعد أو التدرج، بحيث لا تتقابل العناصر بقدر ما تُبنى فوق بعضها بطريقة تكاملية. ويقوم هذا النوع من التماثل على توزيع هرمي للمفاهيم أو البنى التركيبية، يظهر فيه المعنى كعملية انتقال تدريجي نحو الإدراك أو الحلول، وغالباً ما يتوسط هذا التماثل أدوات ربط كالعطف والشرط والتعليل.

وفي هذا النص يقوم المقطع الثاني على بنية اتصالية تُظهر خصائص التماثل التراتبي، الذي لا يتحقق من خلال التناظر العددي المباشر كما في التماثلات المحورية أو المنعكسة، بل من خلال علاقة تتابعية دلالية تتوزع عبر المستويات التركيبية والرمزية للنص. وتُعد الروابط النحوية، وعلى رأسها أدوات الشرط والعطف، بمثابة الوحدات البانية لهذا النمط من التماثل، حيث تُفَعِّل مبدأ الاتصال من خلال الانتقال التدريجي في بنية الوعي الشعري.

وتتجلى هذه البنية التراتبية من خلال عدد من الأبيات التي تؤسس لسياق اتصالي متدرج، يُراوح بين النصيح والتوجيه والتحذير، مثل:

فلا تَرَمْ بالمعاصي كَسَرَ شَهَوَاتِهَا * إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النِّهَمِ
والنفسُ كالطفلٍ إِنَّ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى * حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّمَهُ يَنْقَطِمِ

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

فاصرف هواها وحاذر أن تُؤْلِيَهُ * إِنَّ الهوى ما تولى يُصِمُّ أو يَصِمُّ

فهذه الأبيات تؤسس لبنية شرطية متكررة، تتوسل بالمقارنة والقياس والتحذير، وتوظف تقنيات التمثيل المجازي والتفسير الأخلاقي. ويُلاحظ فيها انتظام التوازي التركيبي وتكرار "إن" الشرطية و(إن) المؤكدة، لمنح الموقف طابعا تحليليًا يتدرج من توجيه الخطاب إلى بيان أثر السلوك، ليعكس مسارًا داخليًا لصوت الذات في لحظة بناءها الواعي.

وعلى المستوى الإحصائي، يبين الجدول البنيوي أن هذا المقطع يضم: (30) اسمًا ثلاثيًا، و(10) أفعال ثلاثية، و(3) جمل عشرية، و(16) عشر بيتًا شعريًا. ويمكن تحليل هذه القيم وفق علاقة توازن داخلي: (10 أفعال 3 جمل = 30 اسمًا)، وهي معادلة تُنتج تماثلًا غير مباشر، يوضح كيف تتوزع الحركية الفعلية للنص (الفعل) على بنية الثبات (الاسم)، ليُعاد إنتاج القيمة الاسمية عبر تراكم التراكيب الفعلية، ما يعكس بنية شعورية متدرجة.

أما على مستوى البنية الشكلية، فإن رقم (16) بيتًا يضرب في عدد المقاطع العشرية (10) لينتج عدد أبيات القصيدة كاملة (160 بيتًا)، بما يعزز مركزية هذا المقطع ضمن معمار القصيدة. ومن هنا، يمكن اعتبار هذه الوحدة الشعرية نموذجًا لبنية تأسيسية في نسق القصيدة، بوصفها تحقق انتظامًا تأويليًا دقيقًا قائمًا على التراتب، لا التناظر، ومن ثم تُعدّ حلقةً فارقةً في بنية الاتصال الشعري.

وعليه، فإن التماثل التراتبي يُفهم هنا بوصفه بنية دلالية ونحوية تنتظم في عمق النص، تعكس وعي الذات وهي تتشكل عبر تدرجات الخطاب، من التحذير إلى التجربة، ومن النصيحة إلى الصراع الداخلي، بما ينسجم مع التصور الاتصالي للذات كما يفرضه البناء العشري للقصيدة.

وإذا كانت البنية التراتبية قد كشفت عن آليات الانسياق من الأدنى إلى الأعلى في بنية المعنى، فإن نمط التماثل التالي يُنتج علاقاته من خلال تبادل الأدوار وقلب المواقع بين العناصر النصية. وفي هذا الإطار، يتجه التحليل إلى فحص بنية التماثل بالقلب، بوصفها تجليًا لمرونة البنية النصية، وقدرتها على إعادة توزيع الوظائف والمعاني بصورة انعكاسية معكوسة.

المطلب الثالث: التماثل بالقلب

التماثل بالقلب فذا البحث يقصد به وجود علاقة نصية قائمة على المبادلة بين القيم النصية المهيمنة من جهة، وبين القيم الجمالية والرمزية من جهة أخرى. ومن أبرز مظاهره في النص: التكرار (كما في:

البنية العشرية وتمثيلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

"هو الحبيب الذي تُرجى شفاعته" و"هو الذي"، والعدول التركيبي (كما في: "غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم")، والنفي التصاعدي:

"أعيا الورى فهمُ معناه فليس يرى * في القُربِ والبعدِ فيه غيرُ منفَحِمٍ"

وتُظهر هذه السمات كيف يفكّ البناء الشعري جدل العلاقة الاتصالية بين الذات والوجود، من خلال قلب عناصر التلقي، وانزياح الخطاب إلى مستوى رمزي عميق. وهذا ما تؤكدُه القيم الإحصائية للمقطع الثالث، الذي يمثل ذروة التماثل بالقلب:

عدد	الأفعال	الأسماء	الجمل	الأسماء
الأسطر	الثلاثية	الثلاثية	العشرية	العشرية
3	10	70	3	2

تبلغ القيمة الإجمالية للعناصر الظاهرة في البنية النصية (الأسطر + الأفعال + الجمل + الأسماء العشرية ($45 = 2 + 3 + 10 + 30$)، بينما القيمة الإجمالية لبنية الأسماء (الاسمية الثلاثية والعشرية) $90 = 20 + 70$.

وهذا التفاوت لا يدل على اختلال بنيوي، بل يكشف عن نمط قلب تأويلي، حيث تُعاد صياغة العلاقة داخل النص عبر "قلب تماثلي"، تتحول فيه القيمة الأعلى (90) إلى وحدة دلالية مضاعفة تعادل ما يُنتجه الظاهر من البنية، وهو ما تؤكدُه المعادلة التالية: $(90 \div 3 \div 10 = 3)$

إذن القيمة الثلاثية تمثل المفتاح البنيوي الذي يوازن بين القيم، ويعيد توجيه البنية من تمركز ظاهري (عدد الأبيات) إلى تماثل عميق يُعيد إنتاج النص كمرآة تُحيل العناصر بعضها إلى بعض، تماماً كما تتبادل الصور في المرآتين المتقابلتين.

في هذا السياق، يتحقق مبدأ "الانعكاس الاتصالي" من خلال قلب مواقع القيم المهيمنة، حيث لا تستقر البنية على محور واحد، بل تتوزع الدلالة وفق مبدأ الحلول التبادلي: الظاهر يشفّ عن الباطن، والباطن يُعيد تشكيل الظاهر، فتُصبح الذات قادرة على التماهي مع خطابها.

وهكذا يُصبح التماثل بالقلب في هذا المقطع نموذجاً بنيوياً يُفكك منطق الخطيَّة، ويُعيد ترتيب العلاقات النصية وفق مبدأ الانعكاس، مما يعزز قراءة القصيدة كوحدة دلالية تتحرك على مستوى شعري ووجودي في آن واحد.

البنية العشرية وتمثيلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

ولئن كان التماثل بالقلب يُعيد إنتاج المعنى من خلال قلب المواقع، فإن النمط البنيوي الأكثر توترًا يظهر في التماثل المضاد، الذي يُؤسس على تقابل صريح بين ثنائيات متنافرة، تُسهم في كشف صراع الذات بين الحدين: الحضور والغياب/ المثل والمثال. وفيه تنفتح البنية على مواجهة مزدوجة بين الظاهر والباطن، تُفضي إلى لحظة وعي يتخلق من مبدأ الصراع وليس التوافق.

المطلب الرابع: التماثل المضاد (التقابل)

التماثل المضاد هو نمط من البنية النصية يقوم على تقابل دلالي بين طرفين متناظرين في موقعهما أو وظيفتهما أو دلالتهما، بحيث لا يتحقق بينهما تناظر مباشر، بل تتأسس العلاقة على تبادل القيم واختلاف المواقع. ويتميز هذا النوع من التماثل بكونه لا يسعى إلى إنتاج وحدة متطابقة، بل إلى خلق توتر بنيوي يفضي إلى توازن ضمني، تتفاعل فيه ثنائيات مثل البداية/النهاية، الظاهر/الباطن، الحسي/المجرد، لا بوصفها حدودًا ثابتة، بل بوصفها مرآيا عاكسة لبعضها البعض، تُسهم في تكوين وعي الذات في علاقتها بالوجود.

ويتأسس التماثل المضاد في البناء النصي على بنية تقابلية عميقة تُبرز التوتر الداخلي بين ثنائيات الوجود: البداية والنهاية، المثل والمثال، الحضور والغياب. ويتجلى هذا النمط بوضوح في المقطع الذي يستهل ببيت محوري:

"أَبَان مَوْلَدُهُ عَنْ طَيْبِ غُنْصَرِهِ * يَا طَيْبَ مَبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمٍ"

نُفَصِّحُ البنية الظاهرة هنا عن توازنٍ شكلي بين "المبتدأ" و"المختتم"، وهما رمزان متقابلان للزمن والمكان، أو للحدين الذين بينهما تتموضع الذات. ومن خلال هذا التوازي، يبدأ النص في بناء شبكة علاقات مضادة، يُعاد فيها توزيع الوظائف النصية بين الأعلى والأسفل، بين البداية والنهاية.

لكن التقابل لا يقتصر على الدلالة الزمنية، بل يُعاد إنتاجه على مستوى البنية الكلية للمقطع من خلال موازنة دقيقة بين القيم الإحصائية للعناصر النصية، وهي كما يلي:

العنصر	القيمة
عدد الأسطر	1
الشعرية	3
عدد الأفعال	1

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

العنصر	القيمة
الثلاثية	0
عدد الجمل	!
العشرية	
عدد الأسماء	
العشرية	
عدد الأسماء	!
الثلاثية	6

بذلك، يُقابل العدد الإجمالي للعناصر البنائية الظاهرة: 13 (الأسطر) + 10 (الأفعال) + 2 (الجمل) + 1 (الأسماء العشرية) = 26، يقابل قيمة البنية الاسمية (26)، بوصفها نواة دلالية في هذا المقطع. وهذا التطابق العددي ليس مجرد توازن كمي، بل يعبر عن مبدأ "الانعكاس المضاد"، حيث تتكافأ الكتلتان الداليتان دون أن تتطابقا في الوظيفة؛ فالقيم السطحية (الفعل، التركيب، الحركة) تتوازى مع قيم العمق (الصفة، الجوهر، الثبات)، في علاقة قائمة على الانعكاس المتبادل وليس التناظر المباشر. ويُعمق ذلك البيت:

"كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالماءِ مِنْ بَلَلٍ * حُزْنًا، وَبِالماءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ"

فهنا تنعكس الخصائص بين عنصرين متضادين (النار/الماء)؛ إذ يحمل كلُّ منهما نقيض صفته، في تقابل شعري يُفكك منطق الاستقرار ليؤسس لمنطق اتصالي متحوّل، تتفاعل فيه الذات مع الظواهر من خلال حلولها فيها وانعكاسها عليها وليس من خلال إدراكها فقط.

ويمتد هذا الانعكاس إلى البنية التكوينية:

"وَالجَنُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ * وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمٍ"

ففي هذا البيت، تتكشف النتيجة: "ظهور الحق"، كتحقق بنيوي لاتصال المعنى والكلمة لا كما هي حقيقة ميتافيزيقية، ويتم عبر وسيط الذات التي اجتازت منطق التقابل إلى لحظة الحول في المطلق. وفي هذه اللحظة يتحوّل التماثل المضاد إلى تجلٍ بنيوي لفكرة الانعكاس الاتصالي التي تنتظم بها القصيدة بأكملها.

البنية العشرية وتمثيلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

وبهذا يحقق هذا المقطع نموذجاً نصياً مركباً: يُفكك الثنائية من خلال التوازن، ويعيد تركيبها على محور دلالي عميق يكون فيه التوتر بين المتقابلين هو ذاته الجسر الذي تعبر منه الذات نحو الوعي الكلي لتتفصل عنها.

وبعد أن كشفت البنية النصية عن علاقات التقابل الحادة في نمط التماثل المضاد، تنتقل القصيدة في بنيتها العشرية إلى مستوى أكثر تركيباً من التوازي والتقابل، يتمثل في نمط التماثل المنعكس، الذي لا يكتفي بإبراز الفروقات أو المرايا السطحية، بل يفعل مبدأ التداخل البنيوي بين الظواهر، بما يشكل لحظة من التوحد التأويلي لاتصال عكسي.

المطلب الخامس: التماثل المنعكس

هو نمط بنيوي تتحقق فيه العلاقة بين العناصر النصية عبر المراوحة والتبادل، وتُبنى فيه العلاقات بين المكونات من خلال التشاكل الدائري الذي يجعل كل عنصر انعكاساً جزئياً أو كلياً للآخر. ويعبر هذا النمط عن مستوى عميق من بنية الاتصال الصوفي، حيث لا تتفصل الذات عن تجلياتها، بل تتحقق من خلال تكرارها في الآخر وحلولها فيه.

ويأتي هذا المحور باعتباره الأكثر تعقيداً وعمقاً في النظام البنيوي للقصيدة، إذ يُمثل لحظة الانكشاف النهائي لعلاقة الذات بالأنما في بعدها الاتصالي. وتقوم هذه العلاقة على مبدأ التجلي المتبادل، حيث تنعكس ملامح أحد القطبين في الآخر من خلال التداخل البنيوي والدلالي بين الطرفين. وهذا ما يُبرز منطق الانعكاس الاتصالي كآلية تكوينية لا تشغل داخل النص فحسب، بل تؤسس لتصور صوفي شامل حول تداخل الذوات، وتكونها عبر التجلي والانمحاء.

ويُجسد هذا النمط بوضوح في بنية المقطع السابع، الذي تعكس عناصره النصية انسجاماً عددياً ودلالياً:

العنصر	القيمة
عدد الأسطر	16
الشعرية	16
عدد الأفعال	16
الثلاثية	16

البنية العشرية وتمثيلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

العنصر	القيمة
عدد المركبات	6
العشرية	6
عدد الأسماء	38
الثلاثية	38

تمثل هذه القيم محورًا مزدوجًا للقراءة:

• ← تماثل منعكس (38=6+16+16).

• يقابلها (38) ← تماثل مثالي للبنية الاسمية.

ويُعبّر هذا التوازن الرقمي عن لحظة التحام تام بين البنية الظاهرة (الفعل، التركيب) والبنية الباطنة (الدلالة، المعنى، الإشارة). وهنا تنتقل الذات من كونها رسالة أو متلقية لتصبح مرآة تعكس الكون وتحتويه عبر التجلي الرمزي في الأنبياء والمعجزات.

وتمثل المركبات العشرية الستة (جاءت لدعوته، مثل الغمامة، وما حوى الغار، ظنوا الحمام، وقاية الله، تبارك الله) معابر رمزية لهذا الانعكاس، لأنها استطاعت أن تتحول من فضائها البنائي إلى الحلول في قلب التمثيلات الدلالية لحالة حلول الذات الشعرية في دائرة النبوة، حيث يتجلى المطلق في الظاهر دون أن يغادر مقامه الغيبي.

ومن أبرز مظاهر التماثل المنعكس في هذا المقطع صيغة (مثل الغمامة)، ففيه ينقلب الماء (الرمز الطاهر) إلى صورة عليا للحماية والإنزال والبركة، فيصبح فعل التظليل فعل تجلٍّ للرحمة. ويأخذ هذا الانعكاس مداه الرمزي حين ترتبط هذه الصورة بالحلول والمباركة، فتُصبح (مثل الغمامة) دالًّا صوفيًّا على تكرار الذات في الآخر، وعلى تحقق البركة في صيغتها العشرية المضاعفة.

إن التماثل المنعكس في هذا المقام لا يتجلى بوصفه علاقة شكلية بين عناصر متقابلة، بل يظهر كبنية تأويلية تنظم حركية النص بأكمله، وتعيد تشكيل العلاقة بين الذات والعالم، وفق نسق منفتح على الحلول، ومُغلق على التعدد: تعدد الصور، وتوحد الدلالة.

البنية العشرية وتمثيلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

وقد كشفت المحاور المتقدمة عن نظام تماثلي دقيق يشكّل العمود الفقري للبنية الشعرية في قصيدة البردة، حيث لم تتحقق وحدة النص عبر التناظر السطحي فحسب، لكن من خلال تشابك البنى العميقة التي تنسج علاقات متحوّلة بين الذات واللغة والدلالة.

وعليه فإن هذا التنظيم العشري الدقيق لم يكم نظاماً اعتباطياً، بل نظاماً تأويلياً تنتظم من خلاله الحركية الشعرية والمعرفية للذات الصوفية. وفي قلب هذه البنية برزت أنماط التماثل المختلفة: (المحوري، التراتبي، بالقلب، المضاد، المنعكس) بوصفها وسائط اتصال، لا تستهدف توضيح المعنى فحسب، لكنها سعت إلى تعميقه وتوسيعه نحو أفق رمزي رحب.

ف"التماثل المحوري" أسس لوعي الذات حول مركزها الشعري، و"التماثل التراتبي" كشف عن تدافعات الوعي بين الشرط والنتيجة، بينما "التماثل بالقلب" أحدث انزياحاً في العلاقات التكوينية لإعادة توزيع الصفات والدلالات، أما "التماثل المضاد" فقد فجّر التوتر بين الثنائيات ليحوّلها إلى طاقة تأويلية، أما "التماثل المنعكس" فكان ذروة لهذا التدرج، حيث أصبحت الذات انعكاساً لما هو خارجها وداخلها في آن واحد، دون تناقض أو انفصال.

وفي المجمل، تتجاوز هذه البنى كونها مجرد آليات شعرية، لتغدو مكونات تأسيسية لرؤية صوفية متكاملة، يتحقق فيها الانعكاس الاتصالي بوصفه: اللحظة التي تنحلّ فيها الذات في الآخر، وتُعاد صياغتها بنيوياً في نصّ لا يُقرّ بالفصل بين المعنى والوجود.

وبهذا لا تعود قصيدة البردة نصّاً في المديح فحسب، بل تصبح خطاباً بنيوياً للاتصال الصوفي، تُبنى فيه الذات وتتفكك، وتتكشف وتتوارى، في جدلية لا نهائية، تؤسس لوعي شعري مضاعف: ذات تُقرأ وجودها وهي تُنكر ثباتها فيه كما سيظهر في المحور الكلي.

المطلب السادس: التماثل المنعكس (الكلي):

يمثل التماثل المنعكس - على نطاق القيمة المهيمنة الكلية - ذروة ما توصلت إليه القراءة البنيوية في هذا البحث. فهو لا يُعنى بتماثل جزئي داخل مقطع ما، ولا حتى بين مقاطع متعددة، بل يشغل على المستوى العام للقصيدة بأكملها، حيث تتكشف القيمة التنظيمية الكامنة خلف ظاهر التوزيع العددي. فوفقاً للجدول الإحصائي الذي تتبعت القراءة من خلاله القيم المهيمنة في كل مقطع - من عدد الأسطر، إلى تكرار الأسماء والأفعال، إلى الجمل العشرية وغيرها - بلغ مجموع هذه القيم (474) وحدة بنيوية موزعة على عشرة مقاطع. وعند قسمة هذا المجموع الكلي على عدد أبيات القصيدة البالغ (160)

البنية العشرية وتمثيلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

بيئاً، نحصل على القيمة (3)، وهي ليست مجرد حاصل قسمة رياضي، بل تحمل دلالة جوهرية في نسق هذا البحث.

هذه القيمة الثلاثية تتكرر بوصفها نواة تكوينية في كل البنى التماثلية الجزئية، كما اتضح في معظم المحاور السابقة، بدءاً من التماثل المحوري، وانتهاءً بالتماثل المنعكس، حتى أصبحت "الثلاثية" نمطاً عميقاً يعبر عن فلسفة الاتصال في القصيدة، ويعيد إنتاج نفسه بأشكال متعددة. ويأتي هذا الانكشاف العددي الكلي ليعزز فرضية البحث المركزية: أن القصيدة بُنيت وفق منطق انعكاسي دقيق، يعيد ترتيب العلاقات بين الذات واللغة والدلالة ضمن نموذج صوفي خاص، حيث لا تتحقق الهوية إلا من خلال الانعكاس، ولا يُدرك الاتصال إلا من خلال التوزيع الدلالي المتناظر للمعاني. من هنا، فإن هذه النتيجة الرقمية لا تعكس مجرد انتظام شكلي، بل تُجسد بنية تأويلية عميقة، تربط ظاهر اللغة بباطن الفكرة، وتُجلي عن العلاقة الصوفية التي تجعل من الذات مرآة تتجلى فيها كل الكليات، لا بوصفها ذاتاً مستقلة، بل بوصفها تجلياً مستمراً لما هو أوسع منها، وأكثر شمولاً.

الخاتمة:

وبعد، فقد حاول هذا البحث من خلال التحليل البنيوي لقصيدة البردة للإمام البوصيري، الكشف عن العلاقة المركبة بين البنية النصية وتمثيلات الوعي الاتصالي، في إطار الخطاب الشعري الصوفي. واتضح أن انتظام البنية العشرية للقصيدة ليس مجرد بناء تقني أو تنظيمي، بل هو مبدأ تأويلي يُفصح عن توازن داخلي محكوم برؤية فلسفية للذات والعالم واللغة. وقد شكّل النظام العشري المحور البنيوي المركزي الذي نظم تمثيلات الذات واتصالها بالأنا الأعلى، عبر آليات التماثل والانعكاس والتركيب. وأظهرت المؤشرات الإحصائية أن القيمة العشرية (3) تحضر كقيمة تكرارية تأسيسية، تعيد إنتاج نفسها عبر تماثلات متعددة (محورية، تراتبية، بالقلب، مضادة، منعكسة)، وصولاً إلى لحظة الانكشاف البنيوي النهائي في التماثل المنعكس الذي يُنهي القصيدة ويُغلق نظامها.

كما كشفت القراءة عن تقاطع لافت بين البناء العشري للقصيدة ومفهوم الانعكاس الاتصالي، الذي تم توظيفه في هذه الدراسة لتفسير العلاقة التبادلية بين الذات وخطابها، حيث لا يكون الحلول الصوفي حالة شعورية فقط، بل يتحوّل إلى نظام لغوي متكرّر، ومنظّم، ومؤسس على مبدأ العشرية.

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

وتتعرّز هذه الرؤية من خلال رمزية تركيب "الحمد لله"، الذي تتكوّن عبارته من عشرة حروف، مما يجعله نموذجاً مكثفاً للبنية العشرية المقدسة في الثقافة الإسلامية، ومصدراً محتملاً للتوازي البنيوي مع البنية النصية في القصيدة. إن "الحمد" هنا لا يُعد تعبيراً لفظياً فحسب، بل تجلّ رمزيّ لاتصالية الذات مع المطلق، تجلّ يتحقّق من خلال العشرية، كعدد، وكقيمة تأويلية، وكصورة انعكاسية للاتصال والامتتان. (والله أعلم).

وبناءً على ما انتهت إليه هذه الدراسة من نتائج دلالية وبنيوية في قراءة قصيدة البردة، يُوصى بتوسيع مجال البحث في البنى الرقمية (العشرية، الثلاثية، السباعية...) داخل المتون الصوفية، لا من منظور عددي صرف، بل كشبكات دلالية تشغل في عمق النص لتعيد إنتاج الرؤية الوجودية عند المتصوفة. كما يُقترح تطبيق هذا النوع من التحليل البنيوي-الإحصائي على قصائد مدحية أخرى من العصور الإسلامية المختلفة، لاستجلاء مدى ثبات أو تنوّع البنية التماثلية وعلاقتها بمفهوم الذات الاتصالية في الخطاب الصوفي.

ويُستحسن في هذا الإطار تطوير أدوات إحصائية تحليلية دقيقة تُراعي التكرار، والتماثل، والدوران البنيوي، بما يخدم الدراسات النقدية التي تسعى لفهم الشعر الصوفي كجهاز دلالي مركّب قائم العلاقات النصية العميقة بعيداً عن الخطاب الوجداني الشعري.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن سيده، علي بن إسماعيل. (د.ت). المحكم والمحيط الأعظم (ج 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الباجوري، إبراهيم بن محمد. (د.ت). حاشية الباجوري على البردة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- البوصيري، محمد بن سعيد. (د.ت). ديوان البوصيري: شرح وضبط وتقديم عمر الطباع. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- التهانوي، محمد علي. (د.ت). كشف اصطلاحات الفنون والعلوم (ج 2). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (د.ت). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم للملايين.

البنية العشرية وتمثلات الهوية في "بردة البوصيري" (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) 608-696هـ / 1212-1296م:
مقاربة بنيوية دلالية

- الغزالي، أبو حامد. (2010). كيمياء السعادة. تحقيق: أبو سهل نجاح عوض صيام. المقطم: دار المقطم.
- الغزالي، أبو حامد. (د.ت). إحياء علوم الدين (ج 3). بيروت: دار المعرفة.
- السمان، حسن. (2010). التماثل والخطاب الصوفي. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- الزبيدي، محمد مرتضى. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس (ج 16). بيروت: دار الفكر.
- دائرة المعارف الإسلامية. (د.ت). المجلد 3، ص. 528. القاهرة: دار المعرفة.
- فضل، صلاح. (1990). بلاغة الخطاب وعلم النص. الكويت: عالم المعرفة.
- لوتمان، يوري. (1995). تحليل النص الشعري. ترجمة: محمد فتوح. القاهرة: دار المعارف.
- مكّي، محمود علي. (د.ت). المدائح النبوية في الأدب العربي. القاهرة: دار المعارف.
- الهيثمي، أحمد بن حجر. (د.ت). العمدة في شرح البردة. بيروت: دار الفكر.
- جماعة من الباحثين. (1982). نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلايين الروس. ترجمة: إبراهيم الخطيب. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.